الموضوع فى الشعر العربى الأصيل قديمًا وحديثًا

د ٠ عمر شرف الدين

مدخـــــل :-

القــارئ – بإمعــان – للقصائد فى حيّز الشعر التفعيلىّ ، وللقصائد فى إطار الحداثــة يجــد تجاوزًا للموضوع أو للغرض الشعرى الذى سيطر على شعرنا العربى الأصــيل أو القــويم فى القديم وفى الحديث ، وإذا كان " نقد الحياة " هو البديل عن الموضــوع أو الغرض الشعرى فى شعر التفعيلة فإن ذلك الموضوع أو الغرض الشعرى قد اختفى تمامًا فى شعر الحداثة ٠

يقــول د / كمــال إسماعيل ، مبيّنا هذه الإشكالية ، وموضحًا ما درج عليه بعــض الشعراء العرب المعاصرين من تقليد طائفة من الشعراء الأجانب متجاهلين ما لشــعرنا العــربى من طبيعة وتاريخ وحياة خاصة : " إن شعر التفعيلة قد أصبحت له السيطرة ، وعمّت جرثومة " الإليوتية " و " الفاليرية " الوطن العربىّ ، و " نقد الحياة" بصفته هدفًا " إليوتيا " طوى أغراضنا الشعرية العبقرية القديمة المعروفة التى كتبنا فيها وحفظنا أمجادنا التاريخية التى استيقظت عليها أوربا ، نقد الحياة هذا الذى أبطل الشعر البديل عن الدين الذى آمن به " ماثيو أرنولد " ما عاد قائمًا فالتجارب الشكلية توقظ دعــوى الفــن للفن ، ولا يترجم دعوى البنية للنقد ترجمة واعية ، وهنا نرى التخبط المفزع المنذر بتدمير كل شئ " [1] ٠

---

(١) أنظر : جريدة الجمهورية الأسبوعية الجزائرية ، جريدة تصدر عن المؤسسة الوطنية للصحافة " الجمهورية " ، ع ٣٣ ، ص ٣٣ ، ٣٤ ٠ ، ولمزيد من التفصيل يراجع فى أماكن منتشرة :-

- الشعر الحديث ، عمرو فروخ ، دار لبنان للطباعة والنشر بيروت لبنان ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨ م ٠
- الاتجاهات الحديثة فى الشعر العربى المعاصر ، د / عبد الحميد جبره مؤسسة نوفل بيروت لبنان ط ١ سنة ١٩٨٠م٠
- الشعر الحديث بين المحافظة والتجديد د / محمد بن سعد بن حسين ، مطابع الفرزدق التجارية – الرياض ط ١ سنة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م٠

ونحـــن إزاء هـــذا الهدم للقيم الشعرية الموروثة ، تحت مؤثرات منافية لروح الثقافة العربية — نتجه صوب شعرنا العربى الأصيل قديمه وحديثه ، نفتِّش عن الموضوع أو الغـــرض الشـــعرى لنـــرى كـــيف تشبث هذا الشعر بذلك الموضوع أو الغرض الشعـــرى ! من ثم فإننا نرى أن الخروج عليه خروج على ذوق وثقافة الأمة ، ومنافاة لمكتسباتها ومقومات شخصيتها .

وهكذا فإن هذا البحث يستهدف التنقيب عن الموضوع أو الغرض الشعرى فى شعرنا العربى العبقرى منذ خطوات البداية لهذا الشعر ، مرورًا بالعصور الوسيطة ، وانـــتهاء بالعصـــر الحـــديث ؛ مع ملاحظة التطور والتجديد فى الموضوع أو الغرض الشـــعرى ، لنقف على مدى الأهمية والجدارة للموضوع أو للغرض الشعرى بوصفه الحـــافظ لتقالـــيد الأمـــة ومعارفها ، ومن ثم فأن التعامى عنه ضربة للأمة فى الصميم وانحراف عن مقوماتها .

(١)

الموضوع فى الشعر القديم

بدأ الشعر العربى لحاجة الحياة ؛ ومن ثم فقد اتخذ موضوعًا محدّدا ؛ حيث إنه " لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل فى حاجته ... ... فمن قديم الشعر الصحيح قول العنبر بن عمرو بن تميم ، وكان جاوز فى بهراء ، فرابه ريب فقال :-

قد رابنى من دلوى اضطرابُها والنأىُ فى بهراء واغترابُها
إن لاً تجئ مَلأى يجئ قُرابُها " [١]

والأشطر الثلاثة تدخل فى باب الأرجوزة التى نعرف أنها تندرج فى بحر الرجز ووزنها :-

(مستفعلن مستفعلن متفعلن) لكل شطر [٢]

" .... وقد قال قوم (إن الشاعر) كان من بهراء فجاور عمرو بن تميم ، وأنه قال : -

قد رابنى من دلوى اضطرابها والنأى عن بهراء واغترابها [٣]

بترجيح حرف الجر " عن " عوضا عن حرف الجر " فى " وإن كان ابن سلام يرجّح الرواية الأولى . [٤]

---

(١) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، السفر الأول ص ٢٦ ، ٢٧ .
(٢) علم العروض والقافية للدكتور عبد العزيز عتيق ص ٧١ . فما بعد .
(٣) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، السفر الأول ص ٢٦ ، ٢٧ .
(٤) يقول ابن سلام : " ولا نرى ذلك كما قالوا ، بل هو كما ذكر : العنبر بن عمرو بن تميم وكان على عائشة محرر من ولد إسماعيل ، فلما قدم سبىُ العنبر أمرها رسول الله ﷺ أن تعتق منهم ، وهم أصحاب الحُجُرات "
(طبقات فحول الشعراء ، السفر الأول ص ٢٧)

ونستخلص من مراجعة ابن سلام للرواية أن العرب كانوا يتحرون دقة الرواية فهم ـــ كما نعرف ـــ أهل سند وعنعنة ، بالإضافة إلى أن الشعر ـــ فيما نعلم ـــ كان يعدّ عندهم " ديوان علمهم ، ومنتهى حكمهم ؛ به يأخذون وإليه يصيرون .

ومن أقوال عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصحّ منه .... " [1] .

وليس معنى اختلاف وسائل الإعلام الآن أن يقوم الشعر على الكذب ومجافاة الحقيقة والبعد عن الموضوع .

ونسوق أمثلة أخرى تحتوى على موضوع ، ويكون الموضوع أيضًا هو باعثها ومثيرها ؛ من ذلك ما قاله دويد بن زيد بن نهد حين حضره الموت :–

اليوم يبنى لدويد بيتهُ ... لو كان للدهر بلًى أبليتهُ
أو كان قِرْنى واحدا كفيتهُ ... يارب نَهْب صالح حويتهُ
وربَّ غَيْلٍ حسنٍ لويته ... ومعصم مخضبٍ ثنيته [2]

وأوصى بنيه عند موته فقال : أوصيكم بالناس شرا ، لا تقبلوا لهم معذرة ، ولا تقيلوهم عثرة . [3]

وهو هنا فى هذه الوصية يؤكد وثائقية الشعر وموضوعيته وأنه ليس ضربًا من العبث أو الخيال المطلق من خلال الموضوع نفسه لكن بلغة النثر التى هى لسان العرب كذلك دونما لهجة محلية .

ومما يدخل فى مجال الموضوع ما قاله زهير بن جناب الكلبى ، كان قديما شيف الولد وطال عمره :–

أبنى إن أهلك فإنى م ... قد بنيت لكم بنية
وجعلتكم أبناء سا ... دات زنادكم وريه
من كل ما نال الفتى ... قد نلته . إلا التحية
كم من محيى لا يوا ... زينى ولا يهب الرعية

---

[1] ابن سلام ص ٢٤ .
[2] نفسه ص ٣١ ، ٣٢ . الغيل : الساعد الريان الممتلئ .
[3] كذلك ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

ولقد رأيت النار للسلا ف توقد فى طميـــة
ولقد رحلت البازل الـــوجناء ليس لها وليه
ولقد غدوت بمشرف الطـــرفين لم يغمز شظيه
فأصبت من حمر القنا ن معا ومن حمر القفيه
ونطقت خطبة ما جد غير الضعيف ولا الحيّه
والموت خير للفتى وليهلكن وبه بقيه
من أن يرى الشيخ البجا ل ، وقد يهادى بالعشيه [1]

إن موضوع هذا الشعر الفخر بما حققه زهير فى سنى حياته ، ووصايا لبنيه باحتذاء الطريق التى سار عليها وحقق بها هذه الأمجاد التى كان بها لسان فخره .

* * *

ولقد صار الموضوع – أيضًا – ضالة الشاعر العربى عندما انتقل الشعر من الأبيات الفرادى أو المقطعات إلى القصائد ، وكان أول من هلهل الشعر (أرقه) وأول من قصد

---

[1] نفسه ، ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ .
محيى : يعنى ملكا يحيى .
السلاف : جمع سالف : وهم المتقدمون فى السير .
طمية : رأس جبل منيع .
البازل من الابل : الذى استكمل الثامنة وطعن فى التاسعة وبزل نابه، وشق لحم منبته وذلك فى تمام قوته .
الوجناء : الناقة الغليظة الصلبة .
الولية : البرذعة تلى ظهر الناقة .
مشرف الطرفين : يعنى فرسا : مشرف العنق ، مشرف الحجبتين (رؤوس الوركين من أعاليهما) .
الشظية : إبرة من العظم فى وظيف الفرس لاصقة ، فإذا شخصت من موضعها غمز وظلع الفرس .
الحمر : يعنى حمر الوحش .
القنان والقفيه : موضعان .
العى : خلاف البيان والتاء للمبالغة
الشيخ البجال : المعنى ، شيخا بجالا (السيد له هيئة وتبجيل) .
يهادى : يمشى بين رجلين معتمدا عليهما من ضعفه وتمايله .

القصـــائد (أطالها) وذكر الوقائع ، المهلهل بن ربيعة التغلبى فى حادثة قتل أخيه كليب بن ربيعة على يد بنى شيبان فى حرب البسوس . [١]

يقـــول المهلهل على البحر السريع ، وفى قافية القاف فى قصيدته التى هى احدى القصائد السبع المعروفة بالمنتقيات [٢] :-

إذ أقبلت حمير فى جمعهـــا	ومذحج كالعارض المستحيق
وجمع همدان له لجبـــــة	ورايه تهوى هوى الأنـــوق
تلمع لمع الطير راياتـــــه	على أواذى لج بحر عميـــق
فاحتـــل أوزارهـــم أزره	برأى محمود عليهم شفيـــق
وقد علتهـــم للقاهبـــؤة	ذات هياج كلهيـــب الحريق
فقلـــد الأمر بنـــو هاجـــر	منهم رئيســـا كالحسام البريق
مضطلعا بالأمـــر يسمو له	فى يوم لا ينساغ حلق بريـــق
ذاك وقد عـــن لهم عارض	كجنح ليل فى سماء بـــروق
فانفرجت عن وجهه مسفرا	منبلجا مثل انبلاج الشـــروق

---

[١] وقعت حرب البسوس بين بكر وتغلب ابنى وائل ، وقد مكثت أربعين سنة ، وقعت فيها هذه الأيام : يوم النهى لتغلب على بكر ، ويوم الذنائب لتغلب على بكر ، ويوم عنيزه تكافئا ، ويوم القصيبات لتغلب على بكر ، ويوم تحلاقة اللمم لبكر على تغلب .
(أيام العرب فى الجاهلية ، لجاد المولى والبجاوى وأبى الفضل إبراهيم ص ١٤٢ – ١٦٨)

[٢] جمهرة أشعار العرب ص ٢١٨ .
العارض : السيل .
المستحيق : الحائق والمحيط .
لجبة : جمع غزير .
الأنوق : المتأنق فى زيه ، المتبختر فى مشيته .
الأواذى : الأمواج .
الأزر : الظهر .
هبوة : غبار .
العارض : الأمر الذى لا يكون فى الحسبان .
السماء البروق : البراقة الصافية .
المنبلج : المنفرج الواضح .
فذاك : الوصف المتقدم .
لا يوفى : لا يجئ على هذه الصورة الامثل الفارس الذى هذه صفاته .
يلقى : يوجد .
الفريق : الجماعة أو القبيلة أو ما إلى هذا .
(حول تحليل القصيدة ينظر : سؤال الحداثة للدكتور كمال اسماعيل ص ٥٨ فما بعد

فذاك لا يوفى به غيـــــره وليس يلقى مثله فى فريـــق

ويتأكد من هذه القطعة التى اخترناها من القصيدة أن العرب أنشأوا شعرهم فى جنس القصيد فى الموضـــوع المتشابك والإخلاص له دون الخيال المجرد أو ترف الفن للفن أو اللاموضوع الســـائد فى الشـــعر العربى الآن الذى انحرف به أدونيس وعمل على التنظير له فى كتابه (الثابت والمتحول) . [١]

* * *

وإذا انتقلنا إلى المعلقات ، وهى – كما نعلم – تعد من عيون الشعر العربى وجدنا الموضوع فيها هو اللحمة والسدى ، وحوله يدور البناء والتحسين وكل ما نعرف من تقنيات القصـــيدة بل إننا سنكتشف موضوعات الشعر تلك التى زخر بها هذا الفن العربى من فخر ووصـــف وغـــزل ومـــدح ورثاء وهجاء ، وعلى سبيل المثال فان النسيب يلوح فى معلقة امـــــرئ القـــيس ويـــتعاظم الوصف فى معلقة طرفة ، أما موضوع معلقة زهير فالمدح وموضـــوع معلقـــة لبيد هو الوصف ، ومعلقة الحارث بن حلزة ، ومعلقة عمرو بن كلثوم موضوعهما الفخر ، وموضوع معلقة عنترة يتمثل فى الحماسة . . . [٢]

وهكذا فإن معلقات العرب لم تخرج عن أطر المواضيع المهمة فى حياة الإنسان العربى القديم عصرئذ ، وربما الإنسان العربى فى انطلاقته فى الأمصار المختلفة بحاجاته الأساسية ومن هنا يفرع الدكتور مصطفى ناصف موضوعات مهمة فى الحياة العربية آنذاك ؛ منها ما يتعلق بحاضر الإنسان العربى القديم وما يتصل بحلمه وبمصيره ويرى أن قراءة الشعر بقدر من العناية تفـــتح أمامـــنا الطـــريق لفهم أفضل لحياة العربى إذا فهمنا من هذا اللفظ شيئا أخصب من المطالب العرضية والشواغل الوقتية . [٣]

---

[١] راجـع : مقدمات الكتاب فـى الجـزء الأول ص ١٣ – ١٥٨ ، وقد عـرض هـذا الجـزء للأصـول ، وانفرد الجزء الثانى بتأصيل الأصول وتناول الثالث مشكلات الحداثة فى الفكر العربـى وعـالج الجـزء الرابع مسألة الحداثة الشعرية والمشكلات التى تثيرها فـى اللغـة والشعر والدين والثقافة بعامة .

[٢] طالع كتاب تاريخ الأدب العربى فى العصر الجاهلى للسباعى بيومى ، ص ١١٠ – ١٣٢ ، ص ١٤٨ – ١٧٨ .

[٣] راجع : فصول كتاب قراءة ثانية لشعرنا القديم تلك التى جاءت على النحو الآتى : حلم المستقبل ص ٣٩ ، البطل ص ٧٣ ، الناقة الأم ص ٩٣ ، الأرض الظامئة ص ١٢٣ ، نحو مبدأ عظيم ص ١٣٩ ، مشكلة المصير ص ١٥٥ ، الحاجة إلى الخوف ص ١٧٣ .

ولقـــد درج الشعر فى العهدين : الإسلامى والأموى على ما كان عليه فى الجاهلية من الأغراض العامة والموضوعات المختلفة ، ولئن طرأ عليه بعض التجديد ، فلم يكن ذلك الـــتجديد عميقا ؛ بحيث ينقل الشعر من جوهر إلى جوهر ، وهكذا فالمدح والهجاء والفخر والغـــزل وما إلى ذلك من الأغراض كانت المجال الذى انطلقت فيه القرائح الشعرية ، وإن كان الانطلاق أكثر امتدادا ، وأشد إيغالا مما كان عليه فيما سبق . [١]

* * *

إن الموضوع إيضا كان الغاية ، حتى فى معمعة التجديد فى العصر العباسى ، إن أبا نـــواس يدعو إلى ترك الوقوف على الأطلال والدمن البوالى ، بوصفه كان موضوعا جاهليا يشغل الشاعر الجاهلى ، يقول أبو نواس :-

قل لمن يبكى على رسم درس واقفا ماضر لو كان جلـــــس
اترك الربع وسلمى جانبـــــا واصطبح كرخية مثل القبـــس [٢]

وقـــول ابى نواس هذا يندرج فى موضوع يمكن أن نعده موضوعا عكسيا لكنه لا يمكـــن أن يكون خارج ما نعده من مواصفات الموضوعات التى يعرفها أو عرفها العرب من قـــبل ؛ فهـــو يطالب بموضوع الخمر ، وهو لا يوافق على البكاء على الدمن ونحن فى حالة وقوف ولكنه قد يسمح بذلك ونحن جالسون إن لم نحمل كلامه على محمل السخرية !! .

ولقد فشل تجديد أبى نواس أو أخفقت حملته على الموضوع الجاهلى ، أو قرب من الفشل والإخفاق " وأسباب فشل هذه الحملة مقاومة العلماء المحافظين التى حملت خليفة مثل الأمـــين يعجـــب بأبى نواس ويحبه على أن يأمره بمخالفة دعوته واحتذاء التراث فى شعره ، يقـــول : -

---

(١) الجامع فى تاريخ الأدب العربى الأدب القديم ، حنا الفاخورى ص ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ولمزيد من التفصيل يراجع الباب الرابع ص ١٨٥ – ٥٠٣ .

(٢) ديوان أبو نواس ص ١٣٤ ، ومما قال فى هذا الصدد :-

عاج الشقى على دار يسائلهـــــا وعجت أسأل عن خمارة البلـــد
لا يرقئ الله عينى من بكى حجرا ولا شفى وجد من يصبو إلى وتد
....

(نفسه ص ٤٦ ، ٤٧)

أعر شعرك الأطلال والدمن القفرا فقد طال ما أزرى به نعتك الخمرا
دعانى إلى نعت الطلول مسلط تضيق ذراعى أن أجوز له أمرا
فسمعا أمير المؤمنين وطاعة وان كنت قد جشمتنى مركبا وعرا (*)

وقد بلغ من سيطرة هؤلاء العلماء على الحياة الأدبية أن اضطر الشعراء إلى عرض قصائدهم عليهم ، ليعرفوا رأيهم فيها قبل أن يجهروا بها (الموشح ٣٥٨) " (١).

" واستمر الشعراء (فى العصر العباسى) ينظمون فى الموضوعات القديمة من مدح وهجاء ورثاء وغزل ... الخ ولكنهم لم يتناولوا هذه الموضوعات كما كان أسلافهم يتناولونها تماما ، وإنما خضعت عندهم لمجموعة التغييرات فى المعانى ، والصور خاصة ... واستحدث الشعراء فى هذا العصر موضوعات لم ينظم فيها القدماء البتة أو كان ما نظموه منها قليلا ضئيل القيمة .

استحدثوا شعر المجون بأقسامه الثلاثة من خمر وغزل فاحش بالنساء وغزل منكر بالغلمان ، نجده عند بشار بن برد ، وأبى نواس ، والحسين بن الضحاك الخليع ، وأمثالهم ، ونقيضه شعر الزهد الحامل لمبادئ إسلامية ، وغير إسلامية نجده عند أبى العتاهية إسماعيل بن القاسم ، والفضيل بن عياض ، ومحمود الوراق ، وامثالهم ، وشعر الزندقة عند صالح ابن عبد القدوس ، ويحيى بن زياد الحارثى ، وعلى بن الخليل وأمثالهم ؛ والشعر التعليمى الذى يتناول الأمثال والقصص وبعض العلوم عند ابان بن عبد الحميد اللاحقى ، والسيد الحميرى ، وبشر بن المعتمر ، وأمثالهم . (٢)

* * *

(*) ديوان أبو نواس ص ٢١ .

(١) حركات التجديد فى الأدب العربى ، الفصل الثالث : حركات التجديد الحضارى ثورة أبى نواس للدكتور حسين نصار ص ٦٦ .

(٢) كذلك ، ص ٦٠ ، ٦١ ومن الواضح ان التجديد الذى نحا إليه أبو نواس كانت تحدوه إليه أسباب سياسية وعرقية كما أن التجديد فى العصر العباسى بعامة كانت من ورائه دوافع سياسية واقتصادية وعنصرية وعلمية (نفسه ص ٥٦ فما بعد) ،، ونؤكد هنا على تأثير الحركة العلمية بدفعها مصطلحات العلوم إلى جسد القصيدة ذاتها من مثل استخدام البراهين العقلية والآراء الفلسفية (تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى للسباعى بيومى ص ٣٨٦ ، ٣٩٠) وعلى انطلاق الشعر إلى الغناء لكن داخل موضوع (كذلك ص ٤٣٤ – ٤٤٢)

أما الأندلسيون فإنهم تناولوا فى شـــعرهم جميع الموضوعات التى تناولها المشارقة من مدح ، ورثاء ، وغزل وخمر ووصف ، وحماسة وفخر وهجاء ، وزهد وحكمة وما إلى ذلك إلا انهم صرفوا معظم همهم إلى الوصف ولا سيما وصف الطبيعة بجنانها ، وأزهارها ومشاهد فصـــولها ، وكانت الطبيعة فى نظرهم شخصا حياً يوشون كل ما يكتبون بما فيها من مظاهر جمال وفتنة ... وأكثروا فى كلامهم من الأحاجى والألغاز والإشارات الدقيقة ، وقد قادهم التـــرف الوصفى إلى أن أقاموا بين الأزهار وغيرها مجالس مناظرات ومنافسات وزادوا على الـــرثاء لونا سياسيا تناولوا فيه زوال الممالك والدول كما فعل ابن عبدون عندما رثى ملك بـــنى الأفطـــس أصحاب بطليوس ، وكما فعل أبو البقاء الرندى عندما رثى الأندلس وقد استرجعها الإسبان ، وكما فعل ابن اللبّانة عندما رثى بنى عباد وصور الأرزاء التى حلّت بهم .. [1].

وهكـــذا فإنـــنا وجدنا الموضوع قد سيطر على الشعر العربى فى مفاصل فارقة فى مشرق الأمة العربية ومغربها على السواء .

* * *

[1] الجامع فى تاريخ الأدب العربى الأدب القديم – مرجع سابق – بتصرف ص ٩٣٩ ، ٩٤٠ .

(٢)

الموضوع فى الشعر الحديث

ويأتـــى الإحيائـــيون ، فيعملون على إحياء منهج الشعراء القدماء على اختلاف أزمنـــتهم ، إن اتجـــاه البارودى الشعرى – مثلا – وهو القمة الشماء فى تاريخ أدبنا العربى الحديث ، يقوم على محاكاة الشعراء القدماء ومعارضتهم وخاصة فى الموضوعات والأغراض تقول إحدى الباحثات :–

" أمـــا الأغـــراض الـــتى يطرقها البارودى فى سائر شعره فتبقى ضمن الأغراض التقلـــيدية الـــتى عرفها الشعر العربى فى عصوره السالفة ، كالمديح والهجاء والفخر والغزل والرثاء والوجدانيات والشكوى والعتاب والشعر الوجدانى والإخوانيات والفروسية ووصف المعـــارك والطـــرديات (أو وصف حفلات الصيد) ووصف الرياض والخمريات والحكمة والزهد ، طرق البارودى هذه الأغراض ولم يضف إليها جديدا فيما خلا بوادر تهيئ للشعر الوطنى " [١] .

ويشـــير العقاد إلى حقيقة محاكاة البارودى للقدماء ، وأهميتها ، ويحكم بصحة نهج الـــبارودى قـــائلا : " وربما كانت محاكاة البارودى للأقدمين هى أنفع ما فى شعره للأدب المصـــرى الحـــديث ؛ لأنه رد إلى المعاصرين يقين القدرة على مجاراة العباسيين والمخضرمين والجاهليين فى ميدان اللغة والتركيب بما أتقن من معارضتهم فى المذاهب والأساليب ، وليس أدعـــى مـــن هذه الثقة إلى الابتكار والاستقلال والاعتماد على النفس والإفلات من قيود التقليد ، فإذا حسبنا للبارودى سليقته المستقلة وشخصيته المعبرة ، ونزعته إلى الاعتراف بحق العصـــر علـــى الشاعر ، فلا ننسى أن نحسب له جودة التقليد وما استتبعه من حسن الثقة وعزيمة النهضة .

وللـــبارودى بعد هذه الآية آية أخرى : وهى أن الفضل الذى له على عصره أكبر من الفضل الذى لعصره عليه ، فما جاء به من عند نفسه كثير لا يقاس إليه ما يجئ من قدرة معاصريه ، وذلك وحده خليق أن يبوئه زعامة جيله ويقدمه إلى طليعة معاصريه وتابعيه ؟ [٢]

---

[١] حركية الإبداع دراسات فى الأدب العربى الحديث ، خالدة سعيد ص ٢٢ .

[٢] مجموعة أعلام الشعر (كتاب : شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى) للعقاد ص ٣٣٤ ، ٣٤٥ .

وبوصف البارودى حلقة مهمة فى تاريخ الشعر العربى الحديث فإن الدكتورة نفوسة وهى تستعرض حياة البارودى وشعره ، تتصدى لاتجاهات الشعراء بعد البارودى متسائلة : كيف تأثر الشعراء بالبارودى ؟ وإلى أى حد التزموا طريقته ونهجوا منهجه ؟ وما مدى استفادتهم من حسن توجيهه ؟ وما جهودهم من بعده ؟ هل استطاعوا أن يؤدوا الرسالة التى عهد إليهم بها ؟ هل استطاعوا أن يوفقوا إلى ما لم يوفق إليه ؟ هل أتوا بجديد فى الشعر العربى ؟ [١] .

وهى وإن كانت تعد بالإجابة على هذه الأمثلة فى بحث خاص ، إلا أنها ترى لزاما عليها أن تشير إلى المدارس الشعرية التى نشأت بعد البارودى ، وتجملها فى أربع مدارس على النحو الآتى :-

١ - مدرسة المحافظين المتطرفين :-

وهذه آثرت المذهب القديم فحذت حذو القدماء ، طرقت موضوعاتهم ، ورددت معانيهم ، واتخذت أساليبهم واخيلتهم ، واستعملت قوالبهم وعارضت قصائدهم ، وقد تأثرت هذه المدرسة بأحداث العصر ومظاهر الحضارة إلى حد ما ، ولكن غلب عليها طابع البداوة ، ويمثلها عبد المطلب والبكرى .

ويبدو أن غلو أصحاب هذه المدرسة فى تقديس القديم يرجع إلى نشأتهم الدينية ، وإلى انتمائهم إلى أصول عربية ، وإلى رغبتهم فى مقاومة دعاة التجديد المتطرفين الذين لم يتورعوا عن تكسير قيود اللغة العربية التى أصبحت حمايتها والحرص على صلاحيتها واجبا دينيا ، وعلى الرغم من حملات الثائرين على المذهب القديم استطاعت هذه المدرسة أن تبقى حتى يومنا هذا وأن تجد لها أنصارا من شعرائنا ، مثل الجارم ، والأسمر ، ولا يزال لهذه المدرسة أنصارها من الشعراء المعاصرين .

٢ - مدرسة المحافظين المعتدلين :-

وهذه جمعت بين القديم والحديث ، أخذت من هذا بطرف ومن ذلك بطرف ؛ أخذت من القديم لغته وأساليبه وصياغته ، وأخذت من الجديد موضوعاته وتشبيهاته وأحيانا

---

[١] البارودى حياته وشعره ، الدكتور نفوسة زكريا ص ٤٣١ .

قوالبه ، ويمثلها حافظ وشوقى ، وقد اشتهر الأول بقدرته على تمثيل عصره ونفسه فى طيات شعره • واشتهر الثانى بمسرحياته الشعرية التى فتحت آفاقًا جديدة للشعر العربى •

٣ – مدرسة المجددين المعتدلين :–

وهذه المدرسة استطاعت أن تجدد دون أن تخرج عن الطريق المرسوم للشعر العربى من قبل ، وتبدو مظاهر تجديدها فى عنوان القصيدة وفى موضوعها وفى وحدتها وفى معانيها وأخيلتها وفى وزنها وقافيتها ، لكنها استطاعت أن تحافظ على سلامة الأداة اللغوية ، ويمثل هذه المدرسة مطران ، والعقاد ، والمازنى ، وأبو شادى ، وشيبوب ، وناجى ، وغيرهم كثير •

٤ – مدرسة المجددين المتطرفين :–

أما هذه فقد ثارت على الشعر العربى القديم ثورة جامحة ، وحاربته شكلاً وموضوعاً حتى إن لغته لم تستطع أن تنجو من عدوانها ، نادت بعدم صلاحيته لمسايرة الحياة والتعبير عنها ، ودعت الشعراء إلى أن يتابعوا الشعر الغربى الذى أصبح فى نظرهم أكثر ملاءمة لتمثيل الحياة ويمثل هذه المدرسة عبد الرحمن شكرى أول من لبى هذه الدعوة التى نادى بها شعراء المهجر •

ولهذه المدرسة أنصار كثيرون وهم آخذون فى الازدياد إلى درجة تهدد كيان الشعر العربى وتكاد تجرده من أهم خصائصه الجوهرية •

ولقد تنبه نقادنا إلى خطر هذه المدرسة فأخذوا يقاومونها موضحين للشعراء الناشئين مزايا القديم والجديد وكيف يمكن الجمع بينهما ، وما المقاييس الصحيحة للتجديد [*] ، وقد فتحت هذه المدرسة الباب إلى حركات تجديدية أكثر تطرفا ، فبرزت دعوة الشعر الحر التى تخلت عن النظام العروضى للشعر العربى ، واشتد الأخذ من النموذج الغربى فى المضامين والبناء ، وظهرت الدعوة إلى التخلى حتى عن التفعيلة والتبشير بقصيدة النثر ، وظهر اتجاه الحداثة الذى ينادى بإسقاط التراث ، والإبداع على غير نهج أو نظام [٢] •

(*) تشير الدكتور نفوسة (فى هامش (١) ص ٤٣٥ من الكتاب المذكور) إلى كتب من مثل : التجديد فى الأدب المصرى الحديث لعبد الوهاب حموده ، وميزان الشعر لعبد الغنى سلامة والشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث لمصطفى السحرتى •

(٢) البارودى حياته وشعره – مرجع سابق – ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ •

ولعلنا لاحظنا من خلال هذه العرض لتلك المدارس الشعرية والمشكلات الفنية التى أثارتها ، والدراسات النقدية التى تبعتها موقف الشعر الحديث من الموضوع ٠

* * *

أهم المصادر والمراجع :-

- البارودى حياته وشعره ، الدكتورة نفوسة زكريا سعيد قدم له وأعده للنشر الدكتور محمد مصطفى هدارة يصدر بمناسبة توزيع جوائز المؤسسة (مؤسسة البابطين فى دورتها الثالثة ، دورة محمود سامى البارودى أكتوبر ١٩٩٢م. ، مطابع جريدة السفير ٤ ش الصحافة المنشية الاسكندرية .
- أيام العرب فى الجاهلية . محمد أحمد جاد المولى بك ، وعلى محمد البجاوى ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم .دار إحياء الكتب العربية ط ١ سنة ١٣٦١هـ- ١٩٤٢م.
- تاريخ الأدب العربى فى العصر الجاهلى . السباعى بيومى ، مطبعة العلوم بشارع الخليج سنة ١٣٥١هـ- ١٩٣٢م.
- تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى بغير الأندلس والمغرب . السباعى بيومى . مطبعة العلوم بشارع الخليج ط ٢ سنة ١٣٥٦هـ- ١٩٣٧م.
- الثابت والمتحول بحث فى الإبداع والاتباع عند العرب . أدونيس . دار الساقى بيروت ط ٧ سنة ١٩٩٤م. (أربعة أجزاء) .
- الجامع فى تاريخ الأدب العربى " الأدب القديم " حنا الفاخورى . دار الجيل بيروت لبنان ط ١ سنة ١٩٨٦م.
- جريدة الجمهورية الأسبوعية الجزائرية ، جريدة تصدر عن المؤسسة الوطنية للصحافة " الجمهورية " ع : ٣٣ .
- جمهرة أشعار العرب : أبو زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى عنى بضبطها وشرحها أحد أفاضل العلماء المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر لصاحبها مصطفى محمد سنة ١٣٤٥هـ- ١٩٢٦م.
- حركات التجديد فى الأدب العربى . مجموعة مؤلفين دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٧٥م.
- حركية الإبداع دراسات فى الأدب العربى الحديث خالدة سعيد دار العودة بيروت ط ١ سنة ١٩٧٩م.

- ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ حققه وضبطه وشرحه أحمد عبد المجيد الغزالى دار الكتاب العربي بيروت لبنان (بدون) .
- سوال الحداثة . د. كمال إسماعيل مركز الصفوة للكمبيوتر والطباعة ط ١ سنة ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
- طبقات فحول الشعراء . محمد بن سلام الجمحى ١٣٩ - ٢٣١هـ . السفر الأول قرأه وشرحه أبو فهر محمود محمد شاكر مطبعة المدنى المؤسسة السعودية بمصر شارع العباسية القاهرة ١٩٧٤م.
- علم العروض والقافية د. عبد العزيز عتيق دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت سنة ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
- قراءة ثانية لشعرنا القديم . د . مصطفى ناصف دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ط ٢ سنة ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
- مجموعة أعلام الشعر . عباس محمود العقاد . دار الكتاب العربي بيروت لبنان ط١ سنة ١٩٨٦م.

بحث من إعداد

الدكتور / عمر أحمد حسين صالح شرف الدين

الأستاذ المساعد فى كلية اللغة العربية

فرع جامعة الأزهر باسيوط - قسم الأدب والنقد